بلاغة الرثاء عند ابن الجنان الأنصاري الأندلسي "مرثية الأب" أنموذجاً

The Lament's Rhetoric of Ibn Aldjinan Al-Ansari: " The Father's Elegy" as a Case study.

طالبة الدكتوراه: راجية غانيه

الدكتورة: هنية جوادي

قسم الآداب واللغة العربية- جامعة محمد خيضر- بسكرة(الجزائر)

مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري- جامعة بسكرة.

Radjia.ghania@univ-biskra.dz

Hania.djouadi@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/01 تاريخ القبول: 2021/01/24 تاريخ القبول: 2021/03/15

الملخص:

الرثاء من بين أهم الأغراض الشعرية التي برع فيها شعراء الأندلس نتيجة ما حل بهم من مآسي وأرزاء، ويعد الشاعر ابن الجنان الأندلسي أحد الشعراء الذين نظموا في هذا الغرض الأصيل وأبدعوا فيه، وقد جاءت مراثيه تعبيراً صادقاً عمَّا يجيش في نفسه من أحزان، وما يعتمل فيها من آلام، تشخِّصها لغته العذبة وصوَّره الشِّعرية الطافحة بالفقد والحسرة، وإيقاعاته الشجية، الباكية، وهذا ما سنسعى إلى كشفه في هذه المقالة من خلال مقاربة بلاغة قصيدة رثاء والده.

الكلمات المفتاحية: الرِّثاء، ابن الجنان، بلاغة، الصُّورة، الإيقاع.

Abstract :

Lamentation is one of the poetic genres which have been an interest to the poets of Al-Andalus who excelled in their writings due to the tragedies and the bitter

experiences that they have witnessed. The Andalusian Ibn Al- Djinen is considered as one of these poets who chose this genre and whose lamentations were a true expression of his deep sorrow and pain, full of poetic images that outstandingly pictured mourning and despair, and peculiar with its crying rhythms. This paper tends to explore those aspects taking his poem, in which he laments his father, as a case study.

Keywords: Lamentations- Ibn Al-Djinen- Rhetoric- Image- Rhythm.

1. مقدمة:

الموت حقيقة لا مفر منها، وكل ابن آدم مصيره إلى الموت، وبرغم حقيقة الموت إلا أن الألم والحزن الذي يصيب أقارب وأصحاب الفقيد شديد، لذلك وجد فن الرثاء لتفريغ كل مكبوتات الحزن والألم والشجن، جراء الفقد؛ والرثاء غرض أصيل في شعرنا العربي برع فيه كثير من الشعراء منذ العصر الجاهلي، على رأسهم الخنساء والشاعر المهلهل، وابن الرومي في العصر العباسي... كما برع في نظم هذا الغرض شعراء البلاد الأندلسية، بفعل ما حل بهم وبلادهم من نكبات ومآسي، وقد كان الشاعر الأندلسي ابن الجنان أحد هؤلاء الشعراء، الذين اشتهروا بنظم المراثي، واتخذ منها فضاء للبوح بمكنونات النفس وعذاباتها جراء فقد الأحبة والخلان، وقد تماهت أحزانه مع ذاته الحزينة بمرارة الفقد والحرمان، وحملت قصائده في الرثاء وبخاصة رثاء الأب ؛ أقرب الناس إلى قلب الشاعر تشكيلات فنية وجمالية، تنضح بالفقد والأسى، وفي هذا الصدد تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن جملة من التساؤلات، أبرزها: من هو الشاعر ابن الجنان؟ وما أهم الخصائص الفنية التي تميز شعر الرثاء لديه؟ ما الخصائص الأسلوبية التي تجسد بلاغة رثائية الأب المختارة أنموذجا لهذه الدراسة؟

ولكن قبل مقاربة بلاغة الرثاء في مرثية الأب لابن الجنان، يحسن بنا الوقوف عند مفهوم الرثاء.

2. الرثاء/ المصطلح والمفهوم

الرثاء، هو البكاء على الأموات، وذكر مناقبهم، فقد أورد الزبيدي في تاج العروس: رَثَأْتُ الرّجلَ بعد موته رثأ أي مدحته[1].والرثاء يقترن بالموت وليس في العالم أمة لم تعرف الرثاء، فقد وجد عند كل الأمم والشعوب بادية وراقية متحضرة، و يذهب شوقي ضيف إلى أن" الإفصاح عن إحساس الناس العميق بالحزن قبل الموتى، ومحاولة ذكراهم بتمجيدهم، وبيان فضائلهم التي ماتت بموتهم، مع التفكير في القدر، وقصور الناس أمامه."[2]في حين يرى الناقد حسين جمعة أن الرثاء "لا يقصد به رثاء الإنسان المجرد عن الجماعة في نفسه وفي صفاته، فهو رثاء بالمفهوم الإنساني الجماعي أو رثاء القيم الإنسانية"[3].

ولا يجد ابن رشيق القيرواني فرقا بين المدح والرثاء،فيذهب إلى القول: "وليس بين الرثاء والمدح فرق؛ إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل (كان) أو (عد مناقبه كيت وكيت)، وما يشاكل هذا وليعلم أنه ميت"[4]

وتحسن الإشارة إلى أن الأمة العربية، تحتفظ كغيرها من أمم العالم بتراث ضخم من المراثي، توزع على ثلاثة أنواع هي: الندب والتأبين والعزاء[5]

1- **الندب: "**هو النواح والبكاء على الميت بالعبارات الشجية والألفاظ المحزنة التي تصدع القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة"[6]، ولأن الندب أشد أنواع الرثاء عاطفة وصدقا وشجونا، فنجد الشعراء يندبون أقاربهم المقربين جدا أمثال: الآباء والأمهات والأبناء وغيرهم...
2- **التأبين:**هو تعداد محاسن ومكارم أخلاق الميت، وغالبا ما يكون التأبين للأشراف والخلفاء والوزراء والعلماء، حيث غالبا ما يؤبن ذوي السلطان والجاه[7].
3- **العزاء:**غالبا ما يكون بعد الندب عزاء لأن الشاعر يعود لرشده، ويتفكر في الموت وفي سنة الحياة وأنه لابد من فناء كل شيء في الحياة، ولكل بداية نهاية، وكيف يظل الإنسان عاجزا أمام هذه الحكمة الإلهية، لذلك يغلب على العزاء الهدوء، والبعد عن المبالغة في وصف المصاب الجلل، بل يتحلى الشعراء بالصبر الكبير رغم الألم العميق[8].

3. التعريف بابن الجنان:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الجنان[9]، وقد تصحف لقب الشاعر عند عدد من المتأخرين إلى ابن الجيان[10]، ولقب بهذا اللقب عدد من أعلام الأندلس

منهم:محمد بن أحمد الجنان الغرناطي الأندلسي أبو عبد الله[11] وأبو بكر محمد عبد الغني الفهري المعروف بالجنان. وهو أندلسي نزيل فاس[12]... وغيرهم من أعلام الأندلس.

عاش ابن الجنان الأنصاري في القرن السابع الهجري، عصر الموحدين، وشهد أمجاد دولة الموحدين، كما شهد ضعفها وانكسار شوكتها، ويذكر الدكتور منجد مصطفى بهجت محقق الديوان: أنه لم يجد شيئا عن حياة ابن الجنان الأُولى، ولكن يذهب إلى أنه نشأ نشأة أبناء عصره، وقرأ في عهد مبكرة ما يقرؤونه، وقدِّر له الاسترسال في هذا الاتجاه حتى بلغ ما بلغه[13]، وذكر أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله في كتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة والسابعة ببجاية: أن ابن الجنان كان شيخاً فقيهاً جليلاً خطيباً كاتباً بارعاً. وهو كما يقول " من أهل الرواية والدراية والحفظ والإتقان، وجودة الخط، وحسن الضبط"[14].

وقد ذكر لسان الدين الخطيب:"أنه كان محدثاً راوية ضابطاً كاتباً بليغاً شاعراً بارعاً رائق الخط فاضلاً خيراً زكياً وكان لطيف الشمائل وقوراً"[15]، أما عن صفاته الخلقية فقد قال عنه: " أنه كان من أعاجيب الزمان في إفراط القماءة (صغير الحجم) حتى يظن رائيه الذي استديره أنه طفل ابن ثمانية أعوام "[16].ويذكر: أنه خرج من بلده حين تمكن العدو منها سنة 604هـ، واستقر بأوريولة (مدينة في بلاد شرق الأندلس) إلى أن استدعاه إلى سبته الرئيس أبو علي بن خلاص، فوفد إليه وحظي عنده حظوة تامة، ثم اتجه إلى إفريقيا فاستقر ببجاية[17].

روى عن كثير من علماء عصره، وكان مزدوج الموهبة شاعرا وناثرا، حيث جرت بينه وبين علماء عصره مخاطبات ومكاتبات أظهر فيها براعة كبيرة، ورغم ميله الشديد للزهد في الحياة، وعدم انحيازه لأمراء عصره، فإنه لم يكن نائيا عن مجتمعه، بل كانت له مشاركات كثيرة: شعرية ونثرية[18].

ويذهب ابن الخطيب في تحديد مكان وزمن وفاته أنه"انتقل إلى بجاية، فتوفي فيها في عشر الخمسين وستمائة"[19]، ولم يكن ابن الجنان بدعا في الشعراء الذين لم تدون أشعارهم في حياتهم أو بعد مماتهم، فقد أوشكت أشعار ابن الجنان، أن تذهب بذهاب مصادرها.

4. مراثي ابن الجنان الأنصاري الأندلسي:

أخذ موضوع الرثاء حيزاً كبيراً في ديوان ابن الجنان، حيث تميز بطول قصائده ففي مجمل أبياته حوالي أربعمائة بيت رثى بها والده وشيخه وامرأة من أقاربه... وقد تفاوتت فيما بينها من حيث صدق المشاعر.

أ- رثاء شيخه:

حظي العلماء بمكانه في قلوب الناس عامة، وطلبة العلم خاصة، وقد دلّ على ذلك العديد من الشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[20]، وقال تعالى﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[21]، وقال تعالى﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾[22]؛ ويعلق الإمام القاضي ابن جماعة الكناني عن هذه الآية بقوله" بدأ سبحانه بنفسه وثنى على ملائكته وثلث بأهل العلم وكفاهم ذلك شرفاً وفضلاً وجلالةً ونبلاً[23].

ويقول رسول الله صل الله عليه وسلم**"العلماء ورثة الأنبياء"**[24]؛ ويعلق ابن جماعة الكناني الشافعي على قول النبي صل الله عليه وسلم بقوله" وحسبك بهذه الدرجة مجدا وفخرا، وبهذه الرتبة شرفا وذكرا، فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة، فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة[25].

وهذا الشرف كله جعل فقد العلماء مصيبة كبرى تحل على الأمة، حيث يقول رسول الله صل الله عليه وسلم" **إن الله لا يقبض العلم انتزاعا، ينتزعه من العباد، لكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى لم يبقى عالما اتخذه الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا** "رواه البخاري[26]

ونجد أن ابن الجنان كتب مرثية من واحد وثمانين بيتا يرثي فيها أستاذه ابن الحسن سهل بن مالك، وهو فقيه ومحدث وقد كان بارعا في المنثور والمنظوم[27]. وقد أظهر ابن الجنان في هذه المرثية كمية من التحسر والتفجع على أستاذه وشيخه، حيث يقول[28]:

دَعُــوني وتســكابَ الــدُّموعَ السَــوَافِك فَــدَعْوَى جَمِيــلُ الصَّــبْرِ دَعْــوَة آفِــكِ
أَصَــبْرٌ جَمِيــل فِــي قَبِــيحِ حــوَادِث خَلّعــنَّ عَلَــى الْأَنْــوَارِ ثَــوْبَ الْحَوَالِــكِ

وفي هذه المرثية ذكر ابن الجنان أخلاق شيخه وصفاته، ومدى دهشته بانتقاله إلى الرفيق الأعلى ولكن في النهاية يستسلم لقضاء الله وقدره.

كذلك رثى ابن الجنان الكاتب السني أبي بكر يحي بن سليم؛ ابن أخ الوزير أبي بكر الفصيلي، وقد كتب في رثائه قصيدة طويلة مكونة من سبعة وسبعين بيتا، اختار لها بحر مجزوء الرمل، وكان مطلع القصيدة[29]:

حَسْبِيَ اللهُ أَحَقّاً مَاتَ يَحْيَى بْنُ سَلِيمِ
يَا لَهُ رُزْءاً عَظِيماً بَانَ بِالصَّبْرِ الْعَظِيمِ
لَمْ يَدَعْ لِلْحِلْمِ مَعْنًى عِنْدَ ذِي الرَّأْيِ الْحَلِيمِ

وهذه القصيدة تذكرنا بقصيدته التي يرثي بها معلمه وأستاذه أبا الحسن سهل بن مالك؛ لأنه يرثي كاتبا من كتاب عصره، فهو في قصيدته الأولى، يذكر مناقب شيخه وفضله وعلمه، كذلك في هذه القصيدة يذكر علم أبي بكر يحي رغم أنه توفي صغيرا إلا أن علامات نبوغه كانت ظاهرة.

ب- رثاء امرأة مجهولة:

تميز بعض شعراء الأندلس برثاء البعيدات والغريبات (نساء لم نعلم عنهن شيء)، ونجد أن شاعرنا قد رثى امرأة لا نعرفها، ولا نعلم عنها شيئا، كل ما نعرفه عنها أنها ربما تكون أخت أحد أصدقائه، وهي قصيدة طويلة تحتوي على واحد وخمسين بيتا، وقد أبدى أساه في هذه القصيدة التي أورد في مطلعها[30]

دَمْعٌ بِنِيرَانِ الْضُّلُوعِ يُصَعَّدُ هَذَا يَسُحُّ وَهَذِهِ لَا تُخْمَدُ
وَأَسًى إِذَا مَا الصَّبْرُ سَاجَلَ كَرْبَهُ نُفِدَ التَّصَبُّرُ وَالْأَسَى لَا يَنْفَدُ
نَبْكِي بُكَاءَ تَرَحُّمٍ كَبُكَائِهِ ونَقُولُ مَا يُرْضِي الْإِلَاهَ فَنُسْعَدُ

إن حزن الشاعر وبكاءه على المرأة لا يتنافى وما يدعو إليه الدين الإسلامي، وهذا ما يؤكده قوله كبكائه فالهاء تعود على النبي صل الله عليه وسلم؛أي أنه يقتدي بالنبي في قوله" إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا"[31].

ج- رثاء الأب:

يعتبر فقد الأب مصاب جلل خاصة إن كانت تربط الأب بالابن علاقة وثيقة، وهذا ما حدث مع ابن الجنان الذي كانت تربطه صلة كبيرة، وتعلق شديد بوالده فرثاه بقصيدة طويلة. وهي أطول قصيدة في الديوان؛ هي فائيته التي تقع في واحد وسبعين ومائة بيت، صور فيها ألمه وحزنه لفراق والده،إذ يقول في مطلعها[32]:

لَا أَمْنَـــعُ اَلـــدَّمْعَ أَنْ يَهْمِـــى وَأَنْ يَكِفَـــا وَلَا أَزَالُ بِرَبْـــــعِ اَلْحُـــــزْنِ مُعْتَكِفَـــــا

ونظرا للقيمة الفنية لهذه القصيدة، فقد وقع عليها اختيارنا مدونة لهذه الدراسة، محاولين الاقتراب من عوالمها للكشف عن بلاغة الحزن وجمالياته.

5. بلاغة الحزن في مرثية الأب:

تعد فائية ابن الجنان أطول قصائد الشاعر،فهي تناهز مائة وسبعين بيتا، عبر فيها الشاعر عن حزنه الشديد لفراق والده،فالقصيدة تنزف حزنا وألما إذ إن علاقة الشاعر بوالده وطيدة، والفراق قد باعد بينهما قبل وفاته، مما ضاعف من لوعة الفقد، وأجج مشاعر الحرمان بينهما. كل هذه الظروف جعلت ابن الجنان يشعر بحزن وألم عميق، يعبر عنه في هذه المرثية الطويلة؛ التي استهلها بتفجعه على والده ووصف ما أصابه من ألم، وأبرز مكانته المرموقة عنده، ويؤكد الشاعر أنه مهما بكى على فقدان والده لن يستطيع أن يبكِ بقدر المصيبة التي حلت عليه،فالفاجعة عظيمة والمصاب جلل، جعله ينكر على كل من يدعوه للصبر، ويطلب منه مساعدته ومواساته في مصابه، وقد افتتح مطولته بأسلوب خبري جاء في صيغة النفي "لا أمنع الدمع أن يهمي وأن يكفى" نافيا رغبة التوقف عن البكاء والانقطاع عن الشعور بالألم والحزن والشجن.

ويواصل الشاعر وصف مأساته، ويدعوا كل من يعرفه للبكاء معه لا منعه من البكاء، ويذكر سبب شجونه وحزنه الشديد أن والده توفي وهو مشتاق إليه؛ لأنه وعند مغادرة ابن الجنان مرسية لم يستطع والده مرافقته ومنعه المرض. وعند عودة ابن الجنان توفي والده بعد تسع ليال من لقائهما بعد فراق دام عاما كاملا وقد أورد هذا في مرثيته التي جاء فيها[33]:

أَقَمْـــتُ حَـــوْلاً أُنَـــادِي لِلرَّحِيـــلِ أَبِـــي وَكَـــانَ مِنْـــهُ رَحِيـــلُ اَلْمَـــوْتِ قَـــدْ أَزَفَـــا

***

أَقَـــامَ تِسْـــعَ لَيَـــالٍ مَـــا وَجَـــدْتُ لَـــهُ فِيهَـــا شِـــفَاءً وَلَا صَـــدْرَ اَلْمُشُـــوقِ شَـــفَا
عَالَجْتُـــــهُ رَاجِيـــــاً إِبْـــــرَاءَ عِلَّتِـــــهِ وَكَيْـــفَ يَبْـــرَأُ مُشْـــفٍ وَاقِـــفٌ بِشَـــفَا

وسبب هذا الفراق هو ما حل بالأندلس والمسلمين من تهجير وغربة مكانية، وكيف قام الإسبان باحتلال أرضه حيث ذكر كل هذه الأحداث في القصيدة،ويذكر أنه وقع في أزمتين:أزمة مرض والده وأزمة سقوط وطنه، ويذهب الشاعر إلى أنه فقد والده، لكنه لازال يأمل في استعادة وطنه لذلك حاول استنهاض الهمم بقوله[34]:

أَيْـــنَ الْأُلَـــى رَفَعُـــوا أَعْـــلاَمَ مِلَّتِنَـــا حَتَّـــى أَرْتَقَـــتْ شَـــرَفاً لِلْمَجْـــدِ أَوْ شَـــرَفَا
وَأَخْرَجُـــوا اَلْكُفْـــرَ مِـــنْ جَنَّـــاتِ أَنْـــدَلُسٍ وَأَوْرَثُـــوا اَلـــدِّينَ مِنْهَـــا الرَّوْضَـــةَ اَلْأُنُفَـــا
نَفَـــوْا مِـــنْ الْأَرْضِ طَاغُوثـــاً وَطَاغِيَـــةً وَأَرْغَمُـــوا أُنُفـــاً قَـــدْ أَشْـــرِبَتْ أَنَفَـــا

وبعد هذه الأبيات الباكية، يذكر كيف كانت همم الفاتحين، وكيف كان السلف أشداء وأنه لم يكن يجرؤ أحد على الاقتراب من أرضهم،حيث يتناسى الشاعر مصيبته الخاصة حينما يتذكر مصيبة وطنه المكلوم بقوله[35]:

أُولَئِـــكَ السَّـــلَفُ الأَعْلَـــوْنَ ذِكْـــرُهُمْ بَـــاقٍ، وَإِنْ كَـــانَ مَاضِـــي عَصْـــرِهِمْ سَـــلَفَا

ثم يواصل ذكره لهذه المصيبة التي حلت بالمسلمين حيث جعلتهم يغادرون أرضهم مغصوبين،مكرهين لكنه يتناسى تحسره على خروجه من مرسية، ويذكر أنه خرج منها ليس خوفا بل فرارا إلى الله في قوله[36]:

فَـــإِذْ رَأَيْـــتُ أُمُـــوراً كُلُّهَـــا تَلَـــفٌ فَـــرَرْتُ لِلَّـــهِ كَيْمَـــا آمَـــنَ التَّلَفَـــا

ونجد أن الشاعر تطرق في قصيدته إلى ذكر فلسفة الحياة والموت، حيث أدرجها من ناحية شرعية، يوضح فيها كيف أن الناس في غفلة عن الموت و لا يحسبون حسابا للموت والآخرة، بل ويخوضوا ويلعبوا بكل جهل، ويذكر كيف أن علم الغيب اختصاص الله وحده سبحانه وكيف لا يعلم الإنسان لما خلق ولما يموت، لكن الله يعلم كل شيء ويواصل فلسفته وذكره للموت والحياة بقوله[37]:

وَاَلْغَيْـــبُ مُحْتَجِـــبٌ عَنَّـــا فَلَـــيْسَ تَـــرَى مِـــنْ خَـــائِضٍ فِيـــهِ إِلاَّ جَـــاهِلاً سَـــرِفَا

***

واللهِ مَـــا عَلِمَـــتْ نَفْـــسٌ لِمَـــا خُلِقَـــتْ وَلَا دَرَى بِمَكَـــانِ الْحَتْـــفِ مَـــنْ حُتِفَـــا

وَضَـــاحِكٌ مِـــلْءُ فِيـــهِ لَـــوْ دَرَى لَبَكَـــى *** دَمَ الْفُـــؤَادِ إِذَا مَـــا دَمْعُـــهُ نَزَفَـــا

ثم يتطرق ابن الجنان إلى الحديث عن الدنيا وزينتها وكيف يغتر بها الغافلون في قوله[38]:

فَفِـــي فِنَـــاءِ الفَنَـــا تَبْنِـــي وَلَـــيْسَ لَهَـــا إِلَّا الضَّـــلَالُ ظِـــلَالٌ ظُلِّلَـــتْ كُثُفَـــا

ويواصل في وصفه للحياة بصيغ المبالغة ليظهر مدى غدرها، وأنها زائلة لا محالة في قوله[39]:

خَتَّـــارَةٌ سَـــلْمُهَا حَـــرْبٌ وَمَأْمَنُهَـــا هُـــوَ اَلْمَخَـــافُ فَمَـــنْ يَـــأْمَنْ بِـــهِ ثَفِفَـــا

خَتَّالَـــةٌ نَصَـــبَتْ فِينَـــا حَبَائِلَهَـــا وَحُبُّهَـــا حَتْفُهَـــا مَـــنْ يَلْـــتَقِطْ لَقَفَـــا

فَتَّانَـــةٌ مَـــنْ يَمِـــلْ يَوْمـــاً لِفِتْنَتِهَـــا هَـــوَىً، هَـــوَى فِي مَهَـــاوِي اَلْهُلْـــكِ قَـــدْ خُسِـــفَا

قَتَّالَـــةٌ لِبَنِيهَـــا كُلَّمَـــا قَـــدَرَتْ عَلَـــيْهِمُ، جَـــرَّدَتْ أَسْـــيَافَهَا اَلرُّهُفَـــا

ظَلَّامَـــةٌ قَـــدْ قَسَـــتْ قَلْبـــاً فَسِـــيْرَتُهَا فِـــيمَنْ يَلِـــينُ فُـــؤَادَاً غِلْظَـــةً وَجَفَـــا

ثم يحاول أن يستجمع شتات نفسه ومواساتها، ويقوم بالدعاء لوالده في سبعة أبيات يبدأها ب " يا رب " ويتوسل إلى الله سبحانه بأن يسكن والده الجنة، وأن يرحمه، ويعفو عنه، وأنه عبد ضعيف بين يدي الكريم في قوله[40]:

يَـــا رَبِّ جَـــاز أَبِـــي عَنِـــيّ الْخُلُـــود بِهَـــا يَـــا رُبَّ بَوِّئْـــهُ مِـــنْ فِرْدَوْسِـــهَا الْغَرَفَـــا

يَـــا رَبِّ وَاْجْعَـــلْ لَـــهُ فِـــي الْقَبْـــرِ مُنْفَسَـــحاً وَرَوْضَـــةً تُرْتَضَـــى نَشْـــراً وَمقْتَصَـــفَا

يَـــا رَبِّ نَـــوِّرْ لَـــهُ ظَلْمَـــاءَ وَحْشَـــتِهِ يَـــا رَبِّ أَتْحِفْـــهُ مِـــنْ إِينَاسِـــكَ الْتُحَفَـــا

يَـــا رَبِّ عَرِّفْـــهُ رِضْـــوَاناً وَمَغْفِـــرَةً يَـــا رَبِّ أَلْحِفْـــهُ مِـــنْ إِسْـــتَبْرَقٍ لُحَفَـــا

يَـــا رَبِّ جُـــدْهُ مِـــنَ اْلرُّحْمَـــى بِأَكْرَمِهَـــا سَـــحّاً، وَأَحْسَـــنِهَا فَـــوْقَ الْزُبَـــا وَطَفَـــا

يَـــا رَبِّ نَضِّـــرْهُ وَجْهـــاً فِـــي اْلتُّـــرَابِ وَفِـــي يَـــوْمِ اَلْحِسَـــابِ إِذَا مَـــا يَقْـــرَأُ الصُّـــحُفَا

يَـــا رَبِّ إِنَّ أَبِـــي عَبْـــدٌ ضَـــعِيفٌ وَقَـــدْ أَتَـــاكَ مَـــوْلىً كَرِيمـــاً يَـــرْحَمُ اْلضُّـــعَفَا

ويسأل الله أن يجمع شمل أسرته في جنة الخلد، وفي ختام القصيدة يستسلم لقضاء الله وقدره ويحتسب الأجر عند الله وأن الله وحده من يستطيع أن يساعده ويخرجه من حزنه لذلك يستسلم لقدره وأن لا ملجأ له إلا الله بقوله[41]:

مَـــا أَنْ لَـــهُ مَلْجَـــأٌ فِيمَـــا عَـــرَاهُ سِـــوَى يَـــا "حَسْـــبِيَ اللَّـــهُ" فِيمَـــا نَـــابَنِي وَكَفَـــى

وبهذا ينهي الشاعر قصيدته بالدعاء والتوجه لله وحده سبحانه.

5 .1الصورة البيانية:

الاستعارة:

من الصور البيانية الأكثر تواترا في المطولة.الاستعارة بنوعيها، وتعد أهم ركائز التصوير الفني في القصيدة ومن الصور الاستعارية التي استخدمها الشاعر في تجسيد مشاعر الأسى والحزن نجد الاستعارة التصريحية في قوله[42]

وَالْشَّـمْسُ خَـوْفَ الْـرَّدَى تَصْـفَرُّ آفِلَـةً وَالْبَـدْرُ مِـنْ ذَاكَ، أَبْـدَى وَجْهُـهُ كَلَفَـا

يشتمل هذا البيت الشعري على استعارتين، تتمثل الأولى في صدر البيت وهي استعارة تصريحية عند قوله: والشمس (خوف الردى)، إذ شبه الليل الأسود بالردي أي الموت، ولو أمعنا النظر فيه لوجدنا أن الاستعارة تعرض مشهدا تصويريا جذابا، حيث حذف المشبه (الليل) وصرح بالمشبه به (الردي) ؛ جعل الشمس عند مغيبها أي عند حلول الليل تبدأ الأحزان وخوف الشخص من الموت، وتكمن جماليتها في الخروج عن المألوف (خوف الشمس من الموت)؛ والأصل أن مهابة الموت تكون من قبل الإنسان.

في حين يحتوي عجز البيت استعارة مكنية، حيث جعل للبدر وجهاً، وقد حذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى على لازمة من لوازمه تدل عليه وهي الوجه على سبيل الاستعارة المكنية، فهو يوظف الاستعارة المكنية لتصوير منظر البدر الذي يظهر عند تأمل الشمس في مغيبها، فالشمس عند غيابها تفسح للبدر المجال ليزين وجه السماء، وهذه الاستعارة تخلق في ذهن المتلقي صورة جمالية فريدة.

وكذلك قول الشاعر[43]:

هَبَّـــتْ رِيَـــاحُ الْمَنَايَـــا وَهْـــيَ عَاصِـــفَةٌ وَزَعْـــزَعُ الْمَـــوْتِ لاَ يُبْقِـــي إِذَا عَصَـــفَا

يشتمل هذا البيت على استعارة مكنية في العجز (الموت لا يبقي إذا عصفا)، حيث حذف المشبه به والإبقاء على لازمة من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

أيضا في قول الشاعر[44]:

وَأَخْرَجُـــوا الْكُفْـــرَ مِـــنْ جَنَّـــاتِ أَنْـــدَلُسٍ وَأَوْرَثُـــوا الـــدِّينَ مِنْهَـــا الرَّوْضَـــةَ الأُنُفَـــا

يشتمل هذا البيت على استعارتين مكنيتين: وردت الأولى في صدر البيت في قوله (أخرجوا الكفر من جنات أندلس) حيث حذف المشبه به وهو المستعمر وترك لازمة من لوازمه تدل عليه وهي على سبيل الاستعارة المكنية، وفي عجز البيت قوله (أورثوا الدين) وقد حذف المشبه به وهو الإنسان والإبقاء على شيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن الصور الاستعارية[45]:

يَكَـــاد يُخْـــرِسُ أَصْـــوَاتَ الْأَذَانِ بِـــهِ صَـــوْتُ الْنَّـــوَاقِيسِ وَالْقِسِّـــيسِ إِنْ هَتَفَـــا

وردت في هذا البيت استعارة مكنية في قوله (يخرسُ أصوات الأذان) حيث حذف المشبه به وهو المؤذنون وترك قرينة من قرائنه على سبيل الاستعارة المكنية.

وقوله[46]:

يَـــا رَاكِـــبَ اللَّيْـــلِ قَـــدْ شَـــارَفْتَ مَعْطَبَـــةً عَـــرِّجْ عَلَـــى الـــنَّهْجِ وَاتْـــرُكْ ذَلِـــكَ الْجُرُفَـــا

يشتمل هذا البيت على استعارة مكنية في قوله (يا راكب الليل) حيث حذف المشبه به وهو الدابة وأبقى على لازمة من لوازمه.

وقوله[47]:

قَتَّالَـــــةٌ لِبَنِيهَـــــا كُلَّمَـــــا قَـــــدَرَتْ عَلَـــيْهِمُ، جَـــرَّدَتْ أَسْـــيَافَهَا الرُّهُفَـــا

في قوله (قتاله لبنيها كلما قدرت) في هذا البيت صرح بالمشبه به وهو الدنيا على سبيل الاستعارة التصريحية، أي أن الدنيا أو الحياة تقتل أبناءها كلما سنحت لها الفرصة، حيث رفعت أسيافها على البشر لكي تتخلص منهم.

أيضا قال في موضع آخر من القصيدة[48]:

أَبَـــى مُصَـــابُ أَبِـــي مَنِّـــيُّ الْسُّـــلُوَّ فَيَـــا قَلْبِـــي وَجَفْنِـــي: قِفَـــا نَبْـــكِ الْحَبِيـــبَ قِفَـــا

يشتمل هذا البيت على استعارة وأيضا تضمين: قال (قلبي وجفني قفا نبك الحبيب قفا) حيث حذف المشبه به وهو الإنسان وترك قرينة من قرائنه على سبيل الاستعارة المكنية، وأيضا ضمن البيت شيء من قول امرؤ القيس[49]:

قِفَــا نَبْــكِ مِــنْ ذِكْــرَى حَبِيــبٍ ومَنْــزِلِ بِسَــقْطِ الْلِّــوَى بَــيْنَ الــدَّخُولِ فَحَوْمَــلِ

فابن الجنان في قوله خاطب القلب والجفن لأن القلب يتفطر من فقد والده والجفن يسيل بدموع الحزن والأسى، لذلك خاطبهما ب قفا نبكي.

الكناية:

وظف الشاعر العديد من الكنايات منها ما ورد في هذا البيت[50]:

فَــــإِنَّ رُزْئِــــيَ رُزْءٌ لَــــوْ بَكَيْــــتُ لَــــهُ دَمَ الْحَشَــا مَــا كَفَــى لَــوْ سَــالَ أَوْ وَكَفَــا

في هذا البيت يُظْهِر ابن الجنان شدة مصابه الكبير الذي حل به، ويقول أنه لو بكى دما ما كفاه لأن رزيته كبرى وهي فقد والده الذي لن يعوضه أحد، وهي كناية عن مصابه الجلل.

أيضا في قوله[51]:

مَــنْ شَــفَّ جَــوْهُرُهُ يَفْهَــمْ حَقِيقَتَهَــا وَلَــيْسَ يَفْهَمُــهُ مَــنْ طَبْعُــهُ كَثُفَــا

يذكر الشاعر فلسفة الحياة والموت، ويقول يفهم حقيقة الحياة ومغزى وجوده فيها إلا شخص شفاف القلب أي جوهره طيب، أما الناس الغافلة أصحاب القلوب اللاهية فهم في لهو ولعب ولا يفقهون معنى الحياة.

2.5 الصور البديعية:

المطلع على ديوان ابن الجنان يلاحظ وجود المحسنات لديه بكثرة حيث ينتقي ألفاظه بعناية شديدة وقد استعمل الطباق والجناس والتصريع والتصدير والترديد وقد وجدوا بكثرة في هذه المرثية:

التصريع:

هو "ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصانه، وتزيد بزيادته"[52]

ويعرف عبد الرضا علي بقوله "هو البيت الذي غيرت عروضه لتلحق بضربه وزنا وقافيةً، ويكون التغييّر إمّا بالزيادة، وإما بالنقصان"[53]

ونجده في مطلع القصيدة في قوله[54]:

لَا أَمْنَــعُ الــدَّمْعَ أَنْ يَهْمِــي وَأَنْ يَكِفَــا وَلَا أَزَال بِرَبْــعِ الْحُــزْنِ مُعْتَكِفَــا

***

هَبَّــتْ رِيَــاحُ الْمَنَايَــا وَهْــيَ عَاصِــفَةٌ وَزَعْــزَعُ الْمَــوْتِ لَا يُبْقِــي إِذَا عَصَــفَا

***

وَغَــالَ غُــولُ الــرَّدَى شَــيْخِي فَوَاأَسَــفاً لَــوْ كَــانَ يَنْفَــعُ شَــيْءً قَــوْلُ: وَ أَأَسَــفَا

***

وَكُــلُّ فَاقِــدِ شَــخْصٍ يَرْتَجِــى خَلَفًــا مِنْــهُ، وَلَا يَرْتَجِــي ابْــنٌ مِــنْ أَبٍ خَلَفَــا

في (يكفا، معتكفا)، (عاصفة، عصفا)، (أسفا، أأسفا)، (خلفا، خلفا) وغيرها من الأمثلة التي تضفي توازنا بين الصدر والعجز ويحدث ايقاع مميز في أذن السامع، ومن خلالها استطاع الشاعر أن يعبر عن أحزانه وما يختلج نفسه من مشاعر وألم وحسرة، فهي ألفاظ عميقة نصف المأساة التي حلت به فقد أبرز الشاعر حالة الحزن التي يعيشها بعد فقد والده.

الطباق:

هو"الجمع في الكلام بين متضادين إما اسمين نحو: النهار والليل أو فعلين نحو: يبكي ويضحك"[55]

وقد وظفه ابن الجنان بكثرة في مرثيته حيث جاء عفويا بعيدا عن التكلف[56]

وَكُــلُّ فَاقِــدِ شَــخْصٍ يَرْتَجِــي خَلَفًــا مِنْــهُ، وَلاَ يَرْتَجِــي اِبْــنٌ مِــنْ أَبٍ خَلَفَــا

***

شَــرِيعَةُ الْشَّــرْعِ فِينَــا بَعْــدَهُمْ كَــدِرَتْ وَكَــمْ حَــلَا وِرْدُهَــا قِــدْماً بِهِــمْ وَصَــفَا

***

هَجَــرْتُ دَارِي وَأَحْبَــابِي وَمِــنْ شِــيَعِي وَصْــلُ الْمُهَــاجِرِ إِمَّــا خَــانَنِي وَجَفَــا

***

وَضَــاحِكٌ مِــلْءُ فِيــهِ لَــوْ دَرَى لَبَكَــى دَمَ الْفُــؤَادِ إِذَا مَــا دَمْعُــهُ نَزَفَــا

***

وَيْــحَ الْمُقِــيمِ بِــدَارٍ وَهْــوَ مُرْتَحِــلٌ مَــا حَــلَّ مُــذْ حَــلَّ رَحْــلاه وَلَا أُكُفَــا

***

وَأَعْقَبَــتْ مِــنْ سُــرُورِ مُونِــقٍ حَزَنــاً وَمِــنْ نَضَــارَةِ عَــيْشٍ رَائِــقٍ قَشَــفَا

فقد جمع بين الكثير من المتضادات منها (يرتجي، لا يرتجي)، (الكدر، الصفا)، (النهار، الليل)، (الهجر، الوصل)، (ضحك، بكى)، (المقيم، مرتحل)، (سرور، حزن)،نجد أن عاطفة

الشاعر وأفكاره في حالة تشتت بسبب الصدمة التي أصابته، فتجمعت في مرثيته الكثير من المتضادات، أيضا استخدامه للطباق يبرز براعته اللغوية رغم عدم تكلفه، و استخدام الطباق يجذب انتباه المتلقي من خلال مقارنة السامع لمتضادين في بيت واحد، فيشعر أن الشاعر في قمة حالاته الشعورية من حزن شديد وانفعال وألم وحسرة.

الجناس:

هو من المحسنات اللفظية ويعتبر من أنواع التكرار البديعي والجناس هو " أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى"[57] مثال ذلك في قوله[58]:

أَقَـــامَ تِسْـــعَ لَيَـــالٍ مَـــا وَجَـــدْتُ لَـــهُ فِيهَـــا شِـــفَاءً وَلاَ صَـــدْرَ اَلْمُشُـــوقِ شَـــفَا

***

عَالَجْتُـــــهُ رَاجِيـــــاً إِبْـــــرَاءَ عِلَّتِـــــهِ وَكَيْـــفَ يَبْـــرَأُ مُشْـــفٍ وَاقِـــفٌ بِشَـــفَا

نلاحظ جناس ناقص بين كلمتي شفا وبشفا، وقد أحدث هذا الجناس جرس موسيقي من خلال اشتراك كلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، حيث وردت كلمة شفا في البيت الأول بمعنى الشفا من المرض وفي البيت الثاني بمعنى المكان العالي، وقد أمد هذا الجناس البيتين بدلالة قوية وجميلة، أيضا ما زاد من الجماليات تكرار حرف الشين، حيث كرره في هذين البيتين خمس مرات، وكرره في كل القصيدة سبعة وستون مرة، والشين حرف مهموس رخو[59]، وله جرس قوي يوائم انسجام الكلمات ويضفي عليها توازن كبير، ويتكون منه أربعة مصادر للمشاعر الإنسانية بما يتوافق إلى حد ما مع خاصية الاضطراب في صوت الشين وهي: جأشت نفسه أي(ارتعشت من حزن أو فزع)، جهشت نفسه(تحركت وهمت بالبكاء)، حاش حيشا (فزع)، دهشة (حيرة)[60]، ونجد أن حرف الشين مناسب للانفعالات التي تسيطر على الشاعر والاضطرابات التي يمر بها بسب فقد والده.

3.5 الإيقاع الخارجي:

. الوزن:

هو "مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت، وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية في معظم الأحيان"[61].

يقول ابن رشيق في عمدته أن "الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية وهو مشتمل على القافية، وجالب لها ضرورة"[62]

وقد اقتضت الضرورة الشعرية أن يختار الشاعر وزنا مناسبا للغرض الذي ينظم فيه وهذا ما أكده إبراهيم أنيس بقول "إن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزنا طويلا كثير

المقاطع يصب فيه من أشجانه ، ما ينفس عن حزنه وجزعه"[63]، فالوزن هو أول ما يقرع الآذان بجرسه وإيقاعه المنتظم .

ووردت قصيدة ابن الجنان على البحر البسيط وهو بحر من البحور الصافية وسمي بسيطا " لانبساط أسبابه أو (مقاطعه طويلة) أي توالها في مستهل تفعيلاته السباعية، وقيل لانبساط حركاته" [64]وفي " البسيط من الصلاحية لتقبل العنيف والرقيق الباكي من الكلام".[65]ونجد تناسب أوزانه مع طبيعة الرثاء وما فيه من انفعالات و في نغم البسيط اتساع للكلام القوي والعواطف الحرة كذلك صدق العاطفة.

والبسيط يصلح لرقيق الكلام، والحقيقة أن رقة البسيط من النوع الباكي فهي تظهر في باب الرثاء وكذلك يظهر كل ماله علاقة بالحنين والتحسر على الماضي[66].

وقد استخدم الشاعر هذا البحر لأنه الأنسب للحالة التي تعتريه؛ حالة الحزن والشجن.

. القافية:

القافية كما يعرفها الأخفش ومن تبعه هي: آخر كلمة في البيت، لكن الخليل والجمهور يعرفوها بأنها بين آخر ساكنين في البيت مع المتحرك الذي قبل الساكن الأول[67].

ونلاحظ أن قافية ابن الجنان هي /0///0 ووهي متراكبة.

. الروي:

هو الحرف الصحيح آخر البيت ويكون ساكنا أو متحرك وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب له[68]، وهي عماد القافية ومركزها ونجد أن ابن الجنان قد بنى قصيدته على حرف الفاء وهو ناتج عن حركة الفتح.

وقد استخدم ابن الجنان حرف الفاء لأنه حرف مهموس رخو يوحي هذا الحرف بالبعثرة والتشتت وهو يبرز معاني الضعف والوهن[69]، وهو ملائم لحالته النفسية.

5. 4 الإيقاع الداخلي

أ- **التكرار:**

ورد في لسان العرب مصدر الكر: الرجوع وكرر الشيء أعاده مرة بعد أخرى[70].

ومن خلال تتبع شعر ابن الجنان نجد أنه تميز بظاهرة التكرار التي تضفي جمالية كبيرة على النص ونجد التكرار من خلال:

- تكرار الحروف :

كرر الشاعر حرف الألف في آخر القصيدة بعد (الفاء) الروي، والألف الملحق بالقافية أعطى تدفقات صوتية ذات دلاله خاصة وهذا ما أعطى النص الشعري الكثير من الحلاوة

والإطراب فالألف الملحق بالقافية يدل على الشدة والتجلد وهذا في حرف الوصل الألف وهو يساعد في التعبير على ما في النفس من مشاعر وأشواق.

- تكرار الكلمة:

يعتبر من أبسط أنواع التكرار بعد التكرار الحرفي حيث يقوم على تكرار الكلمة في البيت الواحد أو في أبيات القصيدة عدة مرات، وقد يأتي تكرار الكلمة فعلا أو اسما وهذا ما يزيد النص جمالا ويضفي على الإيقاع نغمة خاصة[71].

هناك الكثير من التكرارات اللفظية التي كررها الشاعر منها كلمة يا رب، حيث كررها في سبع أبيات حوالي أحد عشر مرة ومن خلال تكراره لكلمة يا رب كان يترجى الله ويدعوه بإلحاح حتى يغفر لوالده، ويسكنه الجنة وهذا التكرار يجعل المتلقي يتعاطف ويتفاعل مع دعاء ابن الجنان ويدعو معه من خلال إلحاحه الشديد.

- تكرار الأداة(تكرار أداة النفي لا):

تكررت أداة النفي لا في فائيته تسعه وعشرين مرة، منها تسعة مرات متسلسلة مما أعط القصيدة نغمة مميزة (لا يبالي، لا لشيخ، لا تكبر، لا يغني، لا يرق)[72]، ومن خلالها خلقت هذه الأداة إيقاع يثير مشاعر السامع وانتباهه، ويجعل من المتلقي يتعاطف مع الشاعر في مصابه.

تكرار المعاني والأفكار:

جاء في قوله[73]:

وَٱللَّـــهِ مَـــا عَلِمَـــتْ نَفْـــسٌ لِمَـــا خُلِقَـــتْ وَلَا دَرَى بِمَكَـــانِ ٱلْحَتْـــفِ مَـــنْ حُتِفَـــا

لِلَّـــهِ فِـــي خَلْقِـــهِ حُكْـــمٌ بِحِكْمَتِـــهِ تَفَـــرَّقَ ٱلـــرُّوحُ وَٱلْجُسْـــمَانُ وَٱئْتَلَفَـــا

تَاللَّـــهِ مَـــا غَـــرَّدَ ٱلْحَـــادِي وَلَا خَفِيَـــتْ آثَـــارُ أَوَّلِهَـــا عَمَّـــنْ تَـــلاَ وَقَفَـــا

وفي كل هذه الأبيات يكرر فكرة واحدة وهي القدرة لله وأن ثقته بالله لا تتزعزع كذلك في الأبيات التي كرر فيها لفظة يا رب كان يحافظ على فكرة واحدة وهي الدعاء لوالده والاستسلام لقضاء الله وقدره.

5. 5 اللغة الشعرية:

لقد أولى ابن الجنان الأنصاري الأندلسي اهتماما كبيرا بلغته الشعرية، حيث تخير الألفاظ البديعة الراقية الجزلة التي تصور ما يختلجه من مشاعر جياشة، وفي مرثيته التي تتكون من مئة وواحد وسبعين بيتا نجد أنها تعج بألفاظ الرثاء (الدمع، الحزن، رزئي، بكيت، شجني، الأشجان، البكاء، فمصرعه، الفناء، المنايا، الأحزان، مكتئب، النادب، الثكلان، الموت، الأسى، فاقد،أبكي، الأدمع، قبورهم، أجل، منية)، كل هذه الألفاظ القوية استخدمها الشاعر ليصف

مدى حزنه وأساه وكيف لا يحزن وهو فقد والده أقرب إنسان له والأب لا يعوض كما ذكر الشاعر في البيت الثاني والعشرين[74]

وَكُـــلُّ فَاقِـــدِ شَـــخْصٍ يَرْتَجِـــي خَلَفًـــا مِنْـــهُ، وَلاَ يَرْتَجِـــي اِبْـــنٌ مِـــنْ أَبٍ خَلَفَـــا

وقد ذكر الشاعر في القصيدة لفظة الموت ثمانية مرات، وأحيانا كان يضع كلمات تحمل نفس معنى الموت مثل (المنية، مصرعه، الفناء) وهذا دليل على حزنه الشديد.

وهناك العديد من الحقول الدلالية منها حقل الحزن (الدمع، بكيت، حزن، مكتئب، الأدمع، البكاء...)، كذلك حقل الألم(رزئي، شجن، دم الحشا، الموت، الأسى، نزفا، دم الفؤاد...) وغيرها.

ونجد في هذه القصيدة صدق مشاعر الشاعر لأنه يرثي والده، فعاطفة الأبوة غلبت عليه ويظهر حزنه الشديد لفقد والده، وقد سار على نهج الشعراء السابقين حيث يذكر الميت وخصاله ومناقبه ويذكر لوعة الفقد وكيف له أن يصبر على الفراق، ومن ثم يسلم أمره لله سبحانه وتعالى ويدعو للمرثي، ومن خلال هذا كله يتبين لنا صدق العاطفة.

خاتمة:

- تكمن بلاغة الرثاء في تعبير الشاعر، وتصويره لحزنه بطريقة صادقة غير مبالغ فيها، لأنها مشاعر تنبع من قلب محب صادق متألم، ومتأثر بفراق أحب إنسان على قلبه.
- ضمن الشاعر حزنه على والده حزنه الدامي على وطنه، فهو لم يرث والده فقط، بل رثى الوطن المغتصب، ورثى أهل الأندلس والحالة التي ولوا إليها من ذل وخنوع وهوان.
- جاءت الألفاظ قوية وسلسة لا تحمل الكثير من التعقيد.
- استخدم الشاعر في هذه المرثية بحر البسيط، لأن أوزانه تتناسب مع طبيعة الرثاء، الذي من خلالها يستطيع إرسال كل انفعالاته الحزينة.
- استخدم الشاعر روي الفاء الذي يوحي بالبعثرة والتشتت، واستخدامه للعديد من التكرارات المنتقاة بعناية بالغة.
- جل الصور الفنية المستعملة تقليدية، نلمس فيها حضورا بارزا للتراث الإسلامي.
- ظاهرة التكرار بارزة في شعره، حيث كرر الحرف والكلمة والأداة، كما أتى على تكرار المعاني والأفكار.

- تضمنت فائية ابن الجنان العديد من الصور البلاغية والبديعية، وهذا التوزيع زاد من جمال القصيدة، وقد ساعدت على إظهار الصورة النفسية الحزينة، ومعاناة الشاعر مع الفقد دون مبالغة.

الهوامش:

[1] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي هلالي، ج، ط1، 2001م، الكويت، مادة (رثأ).

[2] شوقي ضيف، الرثاء، دار المعارف، ط4، القاهرة، ص7

[3] حسين جمعة، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، رسالة ماجستير، 1982م، جامعة دمشق، كلية الآداب، ص40.

[4] ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج2، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت- لبنان، ص147.

[5] شوقي ضيف، الرثاء، ص(5-12).

[6] شوقي ضيف، الرثاء، ص 12.

[7] ينظر: المرجع نفسه، ص(54، 55، 56)

[8] ينظر: المرجع نفسه، ص86.

[9] ابن الجنان الأنصاري الأندلسي، الديوان، تحقيق منجد مصطفى بهجت،(د.د)،الموصل، 1990م، ص09.

[10] يوسف بن إسماعيل النبهاني، سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين، دار الفكر، بيروت، 1316، ص540.

[11] أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي، درّة الحجال فى أسماء الرّجال، ج2، محمد الأحمدى أبو النور، ط1، 1391 هـ - 1971 م، ص 236.

[12] أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1973م، ص266.

[13] ابن الجنان الأنصاري الأندلسي، الديوان، ص09.

[14] أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف العلماء في المائة والسابعة ببجاية،ص 349.

[15] لسان الدين بن الخطيب،الاحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية،ط1، 2003م، بيروت، لبنان، المجلد2،ص 233.

[16] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[17] المرجع نفسه، ص234.

[18] ابن الجنان الأنصاري، الديوان، ص13،12.

[19] لسان الدين الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،المجلد2، ص242.

[20] سورة الزمر، آية 09.

[21] سورة المجادلة، آية 11.

[22] سورة آل عمران، آية 18.

[23] الإمام القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني الشافعي، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، اعتنى به محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، لبنان، ص37.

[24] الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية(فيصل عيسى البابي الحلبي)،ج1، (د.ط)،(د.ت)، ص81.

[25] الإمام القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني الشافعي، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص38.

[26] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، (د.ط)، 2002م، دمشق، بيروت، ص37.

[27] ابن الجنان، الديوان، ص45.

[28] المصدر نفسه، ص129.

[29] المصدر نفسه، ص 157.

[30] المصدر نفسه، ص 96.

[31] مصطفي بن العدوي، الصحيح المسند في فضائل الصحابة، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ط1، 1995م، المملكة العربية السعودية، ص 256.

[32] ابن الجنان الأنصاري، الديوان ص 118.

[33] ابن الجنان، الديوان، ص 121.

[34] المصدر نفسه، ص 120.

[35] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[36] المصدر نفسه، ص 121.

[37] المصدر نفسه، ص 122.

[38] المصدر نفسه، ص 124.

[39] المصدر نفسه، ص 124.

[40] المصدر نفسه، ص 127.

[41] المصدر نفسه، ص 128.

[42] المصدر نفسه، ص 126.

[43] المصدر نفسه، ص 119

[44] المصدر نفسه، ص 120.

[45] المصدر نفسه، ص 121.

[46] المصدر نفسه، ص 123.

[47] المصدر نفسه، ص 124.

[48] المصدر نفسه، ص 120.

[49] امرؤ القيس، الديوان، تحقيق: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004م، ص21.

[50] المصدر نفسه، ص119.

[51] المصدر نفسه، ص122.

[52] ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ص 184.

[53] عبد الرضا علي ، موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه ، دار الشروق ، ط1 ، 1997 م ، ص18.

[54] ابن الجنان، الديوان، ص 118 – 120.

[55] ايميل بديع يعقوب ، ميشال عاصي ، المعجم المفصل في اللغة والأدب ، ج1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1987 ، ص 787.

[56] ابن الجنان، الديوان، ص 120- 124.

[57] علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان.المعاني.البديع، دار المعارف، ط15، 1999م، ص265.

[58] المصدر نفسه،ص 121.

[59] حسين عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها- دراسة – منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998م، دمشق، سوريا، ص115.

[60] حسين عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص 118.

[61] محمود فاخوري، موسيقا الشعر العربي ، مطبعة الروضة ، دمشق ، 1992 م ، ص 165.

[62] ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص 141.

[63] إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2 ، 1952 م ، ص 175

[64] صفاء خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية، منشورات مكتبة المتنبي، بغداد، ط 5، 1977م، ص67.

[65] عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج1، مطبعة حكومة الكويت، (د ط)، (د ت)، ص537.

[66] ينظر: محمد فلاح المطيري، القواعد العروضية وأحكام القافية العربية، شركة غراس للطباعة والنشر، ط1، الكويت،2004م، ص529.

[67] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[68] عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د،ط)، بيروت، لبنان، ص137.

[69] حسين عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص132.

[70] ابن منظور، لسان العرب، المجلد 5، مادة (كرر)، ص 135.

[71] سالم عبيد عبد المحسن القرارعة، ظاهرة التكرار في شعر ابن الجنان الأندلسي، جامعة القصيم المملكة العربية السعودية، 2012م، ص365.

[72] ابن الجنان، الديوان، ص 125.

[73] المصدر نفسه، 122 – 123.

[74] المصدر نفسه، ص 120.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الحديث النبوي الشريف.

1- إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2 ، 1952 م.
2- ابن الجنان الأنصاري الأندلسي، الديوان، تحقيق منجد مصطفى بهجت،(د.د)،الموصل، 1990م.
3- ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج2، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت- لبنان.
4- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 5، مادة (كرر).
5- أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1973م.
6- أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي، درّة الحجال في أسماء الرّجال، ج2، محمد الأحمدى أبو النور، ط1،1391 هـ - 1971 م.
7- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، (د.ط)، 2002م، دمشق، بيروت.
8- أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف العلماء في المائة والسابعة ببجاية.
9- الإمام القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني الشافعي، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، اعتنى به محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، لبنان.
10- امرؤ القيس، الديوان، تحقيق: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004م.
11- ايميل بديع يعقوب ، ميشال عاصي ، المعجم المفصل في اللغة والأدب ، ج1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1987م.
12- الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية(فيصل عيسى البابي الحلبي)،ج1، (د.ط)،(د.ت).
13- حسين جمعة، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، رسالة ماجستير، 1982م، جامعة دمشق، كلية الآداب.
14- حسين عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها- دراسة – منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998م، دمشق، سوريا.

15- حسين عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها.
16- سالم عبيد عبد المحسن القرارعة، ظاهرة التكرار في شعر ابن الجنان الأندلسي، جامعة القصيم المملكة العربية السعودية.
17- شوقي ضيف، الرثاء، دار المعارف، ط4، القاهرة.
18- صفاء خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية، منشورات مكتبة المتنبي، بغداد، ط 5، 1977م.
19- عبد الرضا علي ، موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه ، دار الشروق ، ط1 ،1997 م.
20- عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د.ط)، بيروت، لبنان.
21- عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج1، مطبعة حكومة الكويت، (د.ط)، (د.ت).
22- علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان.المعاني.البديع، دار المعارف، ط15، 1999م.
23- لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية،ط2003،1م، بيروت، لبنان، المجلد2.
24- محمد فلاح المطيري، القواعد العروضية وأحكام القافية العربية، شركة غراس للطباعة والنشر، ط1، الكويت،2004م.
25- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي هلالي، ج، ط1، 2001م، الكويت، مادة (رثأ).
26- محمود فاخوري، موسيقا الشعر العربي، مطبعة الروضة، دمشق، 1992م.
27- مصطفي بن العدوي، الصحيح المسند في فضائل الصحابة، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ط1، 1995م، المملكة العربية السعودية، ص 256.
28- يوسف بن إسماعيل النبهاني، سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين،دار الفكر، بيروت، 1316هـ.